سورة فاطر

obeikandl.com

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ ﴿٢٢﴾ ﴾

الأحياء هم العارفون، ووصفوا بالحياة لكونهم عرفوا ربهم المعرفة التامة التى تخرجهم عن دائرة الأموات ــ أقصد غيرهم من أهل الحجاب .

﴿ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ﴿٢٢﴾ ﴾

من العارفين، فيسقيهم أكؤوس المعرفة، وينفث فيهم شراب الوصل وإنما أشير إليهم بالسمع، لكونهم غير من يستمعون الأمر الإلهى وينفذونه، فهم قائمون بسمعهم فى مواجهه الأمر الإلهى لتنفيذ الأمر وإنفاذه .

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

من المحجوبين، وأشير إليهم بأنهم فى القبور، وذلك لدفن أروحهم وعدم سريانها فى الكون و دخولها فى مقام المشاهدة، وهم بخلاف الذين سرت أرواحهم فى الكون وسرحت، وكان لهم الاطلاع التام فى مقام المشاهدة .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴿٢٨﴾ ﴾

العارفون بالله عز وجل، لكونهم أعرف الناس به سبحانه وتعالى والمعرفة بالتالى تدعو إلى الخشية من الله عز وجل، وأخشى الناس لله تعالى أعرفهم به سبحانه . وإنما زالت الخشية من قلوب العصاة والمقصرين لعدم معرفتهم بالله عز وجل، ولو عرفوه حق المعرفة لما عصوه .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

فالوارثون ممن اصطفى الله عز وجل على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: الظالم لنفسه، إذ يجوز لمن ظلم نفسه أن يكون صاحب إراثة واصطفاء، فقد قال الله تعالى على لسان نبينا محمد ﷺ فى حق أهل بدر: ((**افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**)) فالاصطفاء الأزلى القديم لا يمنع وقوع المعصية وظلم النفس فافهم.

المرتبة الثانية: مرتبة الاقتصاد فى الخير ونسيان ظلم النفس .

المرتبة الثالثة: مرتبة السابقين المذكورين فى أوائل سورة الواقعة وهم أعلى الوارثين منزلة، وهم قلة فى كل زمان، قال عنهم نبينا محمد ﷺ ((**سبق المفردون**)) فهذه هو صفة السابق بالخيرات .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

أى الحمد لله الذى أذهب عنا مقام التكليف، لأنه مقام كله هموم وأثقال وأحزان، وهو مقام حمل الأمانة التى رفضتها السموات والأرض والجبال، فهم يحمدون الله على زوال أحزان التكليف وهمومه وأثقاله، واعلم أن التكليف ثقيل على الروح تسأمه وتضجر من حمله، ولذلك قيل فى حقه ــ أى التكليف ــ ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾.

فإذا كان سيد الخلق ﷺ قد خوطب بشدة التكليف هكذا، فكيف بنا نحن الضعفاء من هذا القول الثقيل والوطأ الشديد والقيل الأقوم ؟.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾

أى أصل الطينة، هل هى خبيثة أم صالحة؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾

أى أن قيوميته سارية فى كل شئ فى الوجود من أصغره إلى أكبره، إمساكاً وتحريكاً وحياة، وبدونه سبحانه لا معني للوجود، إذ هو العدم المحض ــ أى الوجود ــ فكيف يحيا بدون محركه وباعث الحياة فيه ؟.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾

أى انه سبحانه عاملهم بالوسع الرحموتى، الذى وسع به كل الأشياء، ولم ينظر إلى ما يصعد إليه من معاصيهم وذنوبهم، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى لكى يمهلهم المرة، تلو المرة لكى يتوبوا ويتخلصوا من ظلام ذواتهم وصدأ قلوبهم وما يجثم على صدروهم من علل وذنوب .